بدو وادى النطرون والسلطة السياسية فى القرن التاسع عشر

ماجد عزت إسرائيل[1]

لما كانت صحراء وادى النطرون تحيط بوادى النيل، حيث تتدفق مياهه وتنتشر فى فرع رشيد، فقد أغرى ذلك البدو أو كثيرا منهم على النزول إلى الأراضى الزراعية حيث الرزق الوفير والحياة السهلة، وقد لانت طبائعهم الغليظة فى الأرض الطيبة. وانتهى الأمر إلى هجرة بعضهم والانتشار بقرى وادى النطرون الواقعة على نفس الفرع من النيل وانتقلوا بشكل تدريجى من حالة البداوة إلى مجتمع الزراعة المستقر.

وبالرغم من ذلك فقد ظلت بعض القبائل البدوية تصر على حياة الصحراء، وتسكن الخيام، نظرا لأن تقاليدها تحرم السكن تحت أسقف البيوت وزرع الأشجار، اعتقادا منها بأن الذين يخضعون لهذا العادات سيخضعون سريعا لحكام يستعبدونهم.

ولقد كان لهؤلاء البدو (العربان) – كما اصطلح على تسميتهم بذلك فى المصادر والوثائق منذ العصر العثمانى وطوال القرن التاسع عشر – دور بارز فى المجتمع المصرى نظرًا لاتصالهم المستمر بوادى النيل ولكن الجانب السلبى هو الغالب على دورهم عند بداية القرن التاسع عشر، وذلك لأنهم بلغوا فى تلك الفترة أقصى درجة من القوة وشدة البأس، وساعدهم على ذلك حالة الفوضى التى سادت فى الفترة ما بين جلاء الحملة الفرنسية فى سبتمبر ١٨٠١ وتولى محمد على الحكم فى مايو ١٨٠٥م فكانوا يخربون قرى الوادى ويفرضون الإتاوات على سكانها.

ومن هنا كانت دراستنا لإلقاء الضوء على بدو وادى النطرون فى القرن التاسع عشر، وبناء عليه، فسوف نتناول دور تلك القبائل البدوية فى منطقة وادى النطرون من حيث التشكيل العائلى والقبلى لها، وتجمعاتها وعاداتها وتقاليدها، وكذلك علاقاتها بالقبائل الأخرى المحيطة بها، وكذلك علاقاتها بأديرة الوادى ورهبانه وبالريف ووادى النيل القريب من منطقة سكناها، ودورها السياسى والاقتصادى والاجتماعى وعلاقاتها بالسلطة الحاكمة خلال القرن التاسع عشر.

---

(١) دكتوراه فى التاريخ الحديث والمعاصر – كلية الآداب – جامعة القاهرة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة تتعامل مع قضايا توطين البدو من أجل استقرارهم، والحد من صراعاتهم المحلية والخارجية، وتوضح مدى علاقتهم بالآخرين من قبائل أو سكان أو نساك (رهبان) بذات الإقليم، ومدى تقبلهم للاستقرار والحداثة فى ضوء النظم والتشريعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتناقش علاقاتهم بالحكومة المركزية – طوال القرن التاسع عشر – عبر الدولة الحديثة التى وضع لبنتها محمد على باشا (١٨٠٥م –١٨٤٨م) واستكمل بناءها خلفاؤه.

بدو وادى النطرون قبل القرن التاسع عشر:

شهدت مصر عبر عصورها التاريخية ثلاث هجرات حقيقية كانت للهكسوس وبنى إسرائيل والعرب، وجميعهم رعاة وساميون، والهجرتان الأولى والثانية عاش ذووها بمعزل عن المصريين إلى أن رحلوا، وانتهت إلى مجرد «جملة اعتراضية فى تاريخ مصر الأنثروبولوجى»، أما الهجرة العربية فكانت أول إضافة حقيقية إلى تكوين الشعب المصرى وآخرها، منذ أن وضعت قاعدة الأساس فى عصور ما قبل التاريخ[١] وهى التى أتت على مراحل، بعضها سابق للفتح العربى الإسلامى (٢١هـ/ ٦٤١م) والبعض الآخر والأهم أتى ما بعد الفتح ثم الفترتين الفاطمية (الهلالية) (٣٦٣هـ – ٥٦٧هـ/ ٩٧٣م – ١١٧١م) والأيوبية[٢] على أن هذه الهجرات لم تغير فى التركيبية الأساسية للسكان؛ حيث إن العنصر العربى يعود إلى أصل مشترك مع العنصر المصرى،أى أن هناك «قرابة عرقية» بخلاف ما كان عليه الحال فى بلدان عربية أخرى[٣].

كما شهد عصر دولة الأيوبيين والمماليك (٥٦٧هـ – ٩٢٣هـ/ ١١٧١م – ١٥١٧م) أزهى العصور لانتشار القبائل العربية الموجودة فى مصر، فقد بلغوا عددا عظيما؛ حتى جابوا جميع أنحاء البلاد بالوجهين القبلى والبحرى؛ وفى ذات الوقت توقفت الهجرات الوافدة

(١) جمال حمدان: شخصية مصر، جـ ٢، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٢٩٢.

(٢) عبادة كحيلة: عروبة مصر فى فكر جمال حمدان، بحث منشور ضمن الفكر العربى عبر العصور بين الأصالة والإبداع، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٦م، ص.

(٣) جمال حمدان: المرجع السابق، ص ٢٩٨.

إلى مصر فى عصر المماليك بسبب كراهيتهم للعنصر العربى[١]، وأدى هذا إلى وقوع صدام مستمر فيما بينهم مما أثر على الأمن العام للبلاد[٢] وبالرغم من ذلك ساند العربان طومان باى فى صراعه ضد العثمانيين[٣].

وفى العصر العثمانى (١٥١٧م – ١٧٩٨م) عملت الإدارة العثمانية على كسب العربان ضمن صفوفها[٤] ولاستمالتهم صدر قانون (نامة سليمان) وكان مؤيدا لطلبات مشايخهم اتقاء لشرهم وتفاديا لتمرداتهم[٥] كما أنه اعترف بالدور الرئيسى للعربان بالبلاد[٦].

وفى فترة الحملة الفرنسية (١٧٩٨م – ١٨٠١م) لعب العربان دورًا وطنينا حيث انضموا إلى المقاومة الشعبية فى مدينتى الإسكندرية والقاهرة[٧] وتعاونوا مع المماليك من أجل تحصين القاهرة والصعيد فى وجه الفرنسيين، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل؛ لأن الفرنسيين تمكنوا من السيطرة على البلاد، وشاركوا الشعب المصرى فى انتفاضاته ضدهم[٨] ولم يهدأ لهم بال إلا بعد خروجهم من البلاد، وبالرغم من ذلك فقد استفادوا من الفوضى فى فترة الحملة الفرنسية[٩].

وقد انتشرت هذه القبائل العربية مع بدء قدومها فى صحراء مصر؛ ولما كانت الصحراء تحيط بوادى النيل حيث تتدفق مياهه وتنتشر فروعه وتحيط به الخضرة من كل جانب،

---

(١) إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى، القاهرة سنة ١٩٦٨م، ص ص ٣٢٧ – ٣٢٨.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٥٢.

(٣) إيمان محمد عبد المنعم عامر: العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٩.

(٤) محكمة جامع الحاكم الشرعية: سجل ٥٧٣، مادة ١٢٧، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١١٢١هـ/ ٢٢ مايو ١٧٠٩م، ص ٤٩٠.

(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن: الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، ط ٢، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٦م ص ص ١٥٧ – ١٥٨.

(٦) هيلين آن ريفلين: الاقتصاد والإدارة فى مصر فى مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسينى، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٤٥.

(٧) أمين سامى: تقويم النيل، جـ ٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ١٣٣.

(٨) ج كريستوفر هيرولد: بونابرت فى مصر، ترجمة، فؤاد أندرواوس، القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٦٦.

(٩) أحمد لطفى السيد: قبائل العرب فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٨م، ص ص ٢٨ – ٢٩.

فقـد أغرى ذلك القبائـل أو أكثرها على النزول إلى الأراضى الزراعيـة حيث الرزق الوفير والحياة السهلة، ومن ثم لانت طبائعهم الغليظة فى الأرض الطيبة[١٠].

أهم المصطلحات والتصنيفات التى أطلقت على البدو:

على أيـة حال، أطلق العديد من الباحثين والكتاب والمؤرخين مصطلحات متعددة عند تناول دراسـة البـدو، فيقول ابن خلدون فى هذا الإطار «إن العرب أشـد بداوة من غيرهم من الأمم البدوية لقيام بدواتهم على رعى الإبل فقط»[١١]، وهؤلاء يعرفون باسم «الإبالة» أى رعاة الإبل[١٢] بينما أطلق عليهم صلاح الفوال «الشاوية» أى أصحاب الشاء ورعاتها[١٣] كما عرفوا بأصحاب «التايات»[١٤] أى رعاة البقر والجاموس[١٥] وبالبربر نتيجة لاختلاط القبائل العربية التى هاجرت من شبة جزيرة العرب، مع القبائل التى هاجرت من شمال إفريقيا[١٦] وبالأعراب[١٧] وبعربان الصحراء[١٨] وأطلقت عليهم الوثائق بشـتى أنواعها اسـم الأشقياء أو العربان، وهو ما تردد خلال فترة هذه الدراسة[١٩].

ويصنف البدو طبقا لطبيعة الارتحال إلى أربعة أنواع هم بدو الارتحال الكبير، ويعتمدون أساسا على الجمال، والارتحال المحدود ويرتكزون على الأغنام والماعز[٢٠]، وبدو الارتحال

(١٠) إيمان محمد عبد المنعم عامر: المرجع السابق، ص ٧.

(١١) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون، الإسكندرية، د. ت، ص ٦٧ – ٦٨.

(١٢) أحمد لطفى السيد: المرجع السابق، ص ص ١ – ٢.

(١٣) صلاح مصطفى الفوال: البداوة العربية والتنمية، القاهرة سنة ١٩٧٣م، ص ٥١.

(١٤) التايات: مفردها تاية، وهى عبارة عن أكواخ على شكل نصف دائرة مكونة من الطين الجاف ومسقفة بأعواد الغاب لتقيها الحر والبرد؛ لمزيد من التفصيل انظر: يوسـف الشـربينى، هز القحوف فى شرح قصيد ابن شادوف، طبعة بولاق، القاهرة ١٢٧٤هـ/ ١٨٩٠م، ص ٦١.

(١٥) مديرية البحيرة: س ١٠٤٠، جـ ٥، وارد الفروع من قسم النجيلة، وثيقة ١٢٥٤، ٤ ربيع أول ١٢٨٦هـ/ ١٤ يونيو ١٨٦٩م، ص ٦٥..

(١٦) أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، د. ت، ص ص ١٧ – ١٩.

(١٧) تقى الدين أحمد بن على المقريزى: البيان والإعراب. عما بأرض مصر من الأعراب، القاهرة ١٩١٦م.

(١٨) تأليف علماء الحملة الفرنسية: العرب فى ريف مصر وصحراواتها، جـ ٢، ترجمة زهير الشايب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ص ٦٨ – ٦٩.

(١٩) محافـظ الثـورة العرابية: محفظة رقم ٨، تلغراف من ناظر الجهادية والبحرية إلى المعية السـنية، بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٩٩هـ/ ١٥ يوليو ١٨٨٢م؛ راجع ملحق رقم (١)، (٣).

(٢٠) إيمان عبد المنعم عامر: المرجع السابق، ص ٣٤ – ٣٥.

الموسمى، وهم الذين يرتبطون فى هجرتهم بالظروف الطبيعية والجغرافية، والبدو المستقرون، الذين يسكنون فى المناطق الانتقالية ما بين البيئة الزراعية والصحراوية[١].

ولطبيعة حياة البدو الارتحالية وأسلوب معيشتهم الاجتماعية يمكن تقسيمهم إلى أربع فئات: منهم البدو الرحل وهم القادمون من الصحراء إلى حافة الوادى الخصيب، وهم دائمو الترحال ويجوبون البرارى وحرفتهم الرئيسية الرعى[٢]، أما أشباه البدو فهؤلاء هم أقرب إلى حياة البداوة منهم إلى الاستقرار، ويقيمون فيما بين المناطق الزراعية والصحراوية، ويسكنون الخيام عادة ويميل البعض منهم إلى بناء الأكواخ من الطين[٣]، بينما كان البدو شبه المستقرين أقرب إلى الاستقرار منهم إلى البداوة ويرتبطون بالأرض بشكل موسمى، ثم يرحلون بحثا عن الماء والكلأ، أما البدو المستقرون فهم يرتبطون بالأرض الزراعية بشكل دائم، ولا تميزهم عن الفلاحين إلا صفات الجسم من حيث لون الوجه والعينين[٤].

كما يمكن تصنيف العربان إلى نوعين، الأول منهم هم قبائل الرعاة وينتمون إلى القبائل العربية التى انتشرت داخل إفريقيا، ويحتفظون بأخلاقهم وعاداتهم[٥]، أما النوع الثانى فهم القبائل المحاربة وهم الوافدون من الشمال الإفريقى، وقد اعتنقوا الإسلام «دينا» واجتذبهم وادى النيل بمياهه وتربته الحبشية الخصبة[٦].

على أية حال، تعددت القبائل التى وفدت إلى مصر فنذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر، ما تركز منهم بالوجه القبلى مثل قبائل: الهوارة، والعبابدة، وزناتى، وهنادى، والعطايا، والسحارات، وبنى واصل، وبنى وايل غزالة[٧]. أما قبائل الوجه البحرى فكان من أشهرها قبائل: بنى عونة، والسلالة، والسعادى، والعقاقرة وتشمل أولاد

(١) سميرة فهمى على عمر: دور عربان الوجه البحرى فى تاريخ مصر العثمانية (١٥١٧م – ١٧٩٨م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٩٨٩م، ص ٤١ – ٤٢.

(٢) إيمان عبد المنعم عامر: المرجع السابق، ص ٣٥ – ٣٦.

(٣) ميكل ونتر: المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى، ترجمة إبراهيم محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة المصرية للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٤١ – ١٤٢.

(٤) إيمان عبد المنعم عامر: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) أحمد لطفى السيد: لمزيد من التفصيل عن القبائل الإفريقية انظر: المرجع السابق، ص ١٥ – ٢٥.

(٧) لمزيد من التفصيل، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ١٧١ – ١٧٢.

على والحرابى، والبراعيص، وجذام، والعليقات، والفوايد، والسمالو، والجزيرة[1]. هذه لمحة سريعة عن العربان (البدو) فى مصر بصفة عامة.

طبيعة وادى النطرون الجغرافية والتاريخية:

أما عن وادى النطرون فيجدر بنا أن نلقى فى البداية الضوء عن طبيعته الجغرافية، فهو أحد المنخفضات التى تقع فى الصحراء الغربية من مصر، والتى تضم الواحات: الخارجة والداخلة فى الجنوب ثم الواحات البحرية والفرافرة فى الوسط ثم منخفض وادى النطرون[2] والقطارة وواحة سيوة فى الشمال. وتقع هذه المنخفضات فوق مستوى سطح البحر، على خلاف وادى النطرون ومنخفض القطارة حيث يهبط الوادى عن سطح البحر بنحو ثلاثة وعشرين مترًا[3].

ووادى النطرون هو الاسم الشائع للمنخفض الصحراوى الذى تحده شمالاً بحيرة مريوط وجنوبًا الفيوم وشرقًا الدلتا ومن الغرب الصحراء الليبية[4]. ويتخذ الوادى شكلاً منخفضًا[5] فى اتجاه شمالى غربى، جنوبى شرقى[6] مواز للهضبة التى تفصله عن وادى النيل وهى فسيحة يتدرج سطحها ببطء، وتوازى النيل على الدوام[7] وتقع بحيرات الوادى فى خط مستقيم من أعلى إلى أسفل ويتراوح عددها ما بين ست عشرة بحيرة وعشرين بحيرة منها اثنتا عشرة بحيرة على الأقل كبيرة وواضحة المعالم، وعمقها لا يزيد على المترين، ومجموع

---

(١) لمزيد من التفصيل سميرة فهمى على عمر: المرجع السابق، ص ص ٤١ – ٧٥.

(٢) منخفض النطرون: هو منخفض مغلق له بداية ونهاية وليس له منبع أو مصب أو روافد، لمزيد من التفصيل انظر: جمال حمدان، شخصية مصر، جـ ١، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٤م، ص ٤١٦.

(٣) محمود على سيف: وادى النطرون دراسة فى الجغرافيا الإقليمية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٧.

(٤) Walkes. H: the Anglo – American guide to Alex. Cairo 1935, p. p. 190 – 195. انظر: شكل رقم (١).

(٥) عمر طوسون: وادى النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة، ط ٢، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٥.

(٦) رفعت الجوهرى: أسرار من الصحراء الغربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٤٧م، ص ص ١٦٣ – ١٦٤؛ انظر: شكل رقم (١)، شكل (٢).

(٧) تأليف علماء الحملة الفرنسية: جـ ٢، المرجع السابق، ص ٦٣.

مســاحاتها معًا يناهز عشــرة كيلو مــترات مربعة[١]، ويحمل بعضها أسمــاء ألوان مختلفة كالحمــرة، والخضرة، والبيضة[٢] ومياه هذه البحــيرات جميعًا تميل إلى الحمرة الخفيفة، وهى ملحية مشبعة بملح النطرون[٣].

وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون فى تحديد مساحة الوادى فقال البعض: إن مساحته تقــدر بنحــو ٢٠٧ أفدنة، ودلل على ذلك بــأن الضرائب المحصلة على الأرض المســتقلة بلغت قيمتها ٢٠٠ دينار[٤] وقال آخر إن مساحته ١٢٠ ألف فدان[٥] بينما يذكر البعض أن مساحته ٣٠٠ كم٢ أى ١٥٠٠ فدان تقريبا[٦].

أما مناخ وادى النطرون فيعتبر انتقاليًّا بين مناخ حوض البحر المتوسط وجو الصحراء[٧]، وتســقط الأمطار عليه بكميات قليلة خلال فصل الشــتاء وتعتبر موردا مائيًّا يســهم فى رى أراضى الزراعة بالوادى[٨] إضافة إلى المياه الجوفية التى تختزن فى جوف الأرض فى منطقة ما ثم تنصرف نتيجة لانحدار طبقات الأرض إلى منطقة أخرى تكون أقل فى مســتواها عن منطقة التخزين[٩].

وقــد جعل الموقع الجغرافى من وادى النطرون قلعــة طبيعية أغرت الغزاة، كما جعلته منطقة صراع عبر التاريخ بســبب موقعه الاســتراتيجى على مفرق الطــرق التجارية العابرة ما بين الشرق والغرب وما بين شماله وجنوبه[١٠].

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: ماجد عزت إســرائيل، وادى النطرون فى القرن التاســع عشــر، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ٢٠٠٨م، ص ٢.

(٢) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٣) جمال حمدان: المرجع السابق، ص ٤٢٠، انظر: شكل رقم (١)..

(٤) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، جـ ٥، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ص ١١٣.

(٥) La Moreaux, Philip. E: Reconnaissance report and recommendations for ground water investigations, WEL Natrun Cairo 1962. p2

(٦) عبد اللطيف واكد: المرجع السابق، ص ٤٢٢.

(٧) Butcher, E. L: The story of the church of Egypt, 2 vols, London, 1897, p. p. 77 – 78.

(٨) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٩) المرجع نفسه: ص ١١٥.

(١٠) علــى مبــارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة، جـ ٧، ط ٧، بولاق، القاهرة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م، ص ٤٨ – ٥٦.

ويعتــبر الوادى أقرب منخفض لــوادى النيل، فمثّل حصنًا دفاعيًّا واســتراتيجيًّا لصد هجوم الليبيين على غرب الدلتا[١]، ومثال ذلك ما قام به ملوك الأسرة الأولى من صد الغزاة وأسر نحو ١٠٠ ألف أسير وعدد كبير من رعاياهم، كذلك أرسل الملك سنوسرت الأول أبيه لعقاب وتأديب الليبيين المغيرين على الحدود الغربية نتيجة انتهاكهم وسلبهم غرب الدلتا لاحتياج قبائلهم البدو والرحل إلى الأراضى الزراعية[٢].

وقد قام سكان الأراضى الليبية بحملات على الأجزاء الشمالية الغربية من بلاد الدلتا وكبدوا ســكانها نهبًا وســلبًا حتى نجح رمسيس الثالث سنة ١١٧٠ق. م فى وضع حد لهذه الحملات التخريبية، فاشــتبك مع الغزاة فى موقعة حربية وســاقهم أمامه فى هزيمة منكرة، حتى ألقى بهم خلف حدود مصر الحالية، وقد دُوِّن ذلك على جدران قصره فى مدينة أبو – طيبة[٣].

وقــد اتخذ الوادى أكثر من اســم عبر التاريــخ؛ فقد أطلق المصريون القدماء عليه اســم ســخت – حمات أو ســكة همام وتعنى حقل الملح وذلك لتوفير ملح النطرون فيه[٤] وأطلق عليه اسم حقل البلح لوفرة أشجار النخيل[٥] وكذلك اسم (بثت – بت) وتعنى بحيرة السماء وقد ذكر هذا الاسم فى متون الأهرام كمكان لإنتاج البخور[٦].

وأطلق على الوادى اسم «سكيتس» Scetis وتعنى مكان النسك وقد اشتق من هذا الاسم كلمة تنطق بالعربية باســم إسقيط[٧] كما عرف باسم برية شيهات أو (شيهيت) ويتكون من مقطعــين، الأول ويعنى يزن والثانى ويعنى القلوب ومعناهما ميزان القلوب أى المكان الذى

(١) Fakhry, A: Recent Explorations in the Oases of the Western Desert, Cairo 1942, P. P. 206 – 207.

(٢) Ibid., P. 209.

(٣) صموئيل تاوضروس السريانى: الأديرة المصرية العامرة، المطبعة التجارية الحديثة، ط ١، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٦٩؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ٦.

(٤) نيفين عبد الجواد: أديرة وادى النطرون، دراســة أثرية وســياحية، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط ١، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢٤.

(٥) عبد اللطيف واكد، حسن مرعى: واحات مصر جزر الرحمة وجنات الصحراء، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٤٢٣.

(٦) Gouthier, H: Dictonn aire des noms Geographiques contevus dams les texts Hieraglyphiques, SRGE, le caire 1980, p. 89.

(٧) Fakhry, A: op, cit, p. p. 206 – 204.

يزين الله فيه قلوب ساكنيه ليعرف مقدار محبة كل واحد منهم له[1]، وعرف بوادى الملوك نسبة إلى الأميرين مكسيموس ودماديوس ابنى الملك فالنتيانوس الذى صار إمبراطورًا لروما سنة ٣٦٤ وعشقا الرهبنة فى وادى النطرون[2]، وعرف بوادى هبيب نسبة الى هبيب بن حزام بن عفان الغفارى أحد أصحاب رسول الله (ﷺ) وهو أحد عرب فزارة[3]، وأطلق على الوادى اسم وادى النطرون لاستخراج مادة النطرون من بحيراته، وكانت تسمى بالأطرون، ومن ثم فقد سمى الوادى بوادى النطرون[4].

كما عرف الوادى باسم الطرانة وهى ولاية تقع على فرع رشيد، كان ينقل إليها النطرون من الوادى، وقد ارتبطت مع الوادى بنشاط تجارى زاهر[5].

ولعبت قبائل العربان دورًا بارزًا فى وادى النطرون خلال القرن التاسع عشر، وكان لهذا الدور أثره على حياة السكان، فشكلت غاراتهم خطرًا داهمًا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ولخطورتهم لجأ الحكام إلى تخليصهم من حياة البدو والترحال إلى حياة الاستقرار[6].

أهم قبائل البدو بوادى النطرون:

ونظرا لأهمية دورهم يجدر بنا أن نشير لأشهرها وأهمها فى الوادى فى ذلك القرن فمنها:

– **قبيلة الهنادى:** وهى أحد فروع بنى سليم وبنى سلام، وكان مجيئها من طرابلس الغرب فى القرن الثامن عشر، واستقرت فى صحراء مصر الغربية بساحل مريوط، وفى

(١) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٦٣٢، بتاريخ ٤ من ذى القعدة ١٢٩١هـ/ ١٤ ديسمبر ١٨٧٤م؛ متى المسكين، الرهبنة فى عصر القديس ابنا مقار، ط ٢، وادى النطرون ١٩٨٤م، ص ٢٠٩.

(٢) إيسوزورس، الأنبا: الخريدة النفسية فى تاريخ الكنيسة، مكتبة المحبة، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٢٢٩.

(٣) المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) الجزء الأول، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، د. ت، ص ١٨٦.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٢٧٤، بتاريخ ١٥ صفر، ١٠٥٢هـ/ ١٥مايو ١٦٤٢م؛ ماجد عزت، المرجع السابق، ص ٦.

(٥) محكمة جامع الحاكم: سجل ٥٧٣، مادة ١٢٧٥، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١١٢١هـ/ ٢٢ مايو ١٧٠٩، ص٤٩٠؛ مخطوط دير السريان، رقم ٣٧١، طقوس، سنة ١٤٥٢ ش/ ١٧٣٦، لمزيد من التفصيل انظر: شكل رقم (١).

(٦) ديوان خديوى تركى: دفتر ٧٦٤، وثيقة ١٦٦، ٨ محرم ١٢٤٦هـ/ ٢٩ يونيو ١٨٣١م، ص ١١٨؛ انظر: ملحق رقم (١)، ص ٢٧٥.

وادى النطرون بلغ عددها نحو مائة وعشرين نسمة[١] واستقر جزء منها فى الشرقية[٢] وهم من البدو الرحل الذين لا يعرف أبناؤهم الزراعة أو التجارة، بل يعيشون على الرعى والسلب والنهب وكانت من أقوى قبائل العربان بالوادى[٣].

– **قبيلة أولاد على:** وهى من أكبر القبائل العربية الرحالة فى مصر، وجاءت من طرابلس الغرب بعد بنى سلام فى القرن الثامن عشر[٤] وانقسمت إلى قسمين، أقام القسم الأكبر منها فى البحيرة بمركز أبو المطامير، والدلنجات، وإيتاى البارود، وأبو حمص ووادى النطرون[٥]، وتقاسمت هناك النفوذ مع قبيلة الهنادى، وهناك قسم آخر من القبيلة سكن فى الشرقية، وقد بلغ عددها ١٣٤٤ نسمة وكان منها أربعة وعشرون شيخا[٦].

– **قبيلة بنى عونة:** وهى من قبائل السلالمة أو بنى سلامة وقد جاءت إلى مصر من طرابلس الغرب فى أواخر القرن الثامن عشر، وبلغ عددها ثلاثمائة فارس[٧] واتخذت من وادى النطرون مركزًا لها[٨].

– **قبيلة الجوابى:** وقد استقرت فى البحيرة فى إقليم مريوط، ووادى النطرون، وأحيانًا كان يطلق على أفرادها الجوابيص[٩] وكانت تمثل جماعة صغيرة من الرعاة تتجول بحثًا عن المراعى اللازمة لإمداد قطعانها بالغذاء، وتذهب كل عام من الوادى إلى الصعيد حاملة معها النطرون مقابل ثمن محدود، ويذهب من يتجر من أفرادها إلى الواحات لشراء البلح

(١) تعداد نفوس: س ٢٦١، ل/ ٩/ ٧٩/ ٢٦١، ١٢٦٤ هـ ١٨٤٧م، ص ص ١ – ٣.

(٢) معية سنية تركى: دفتر ٢٧، من المعية إلى عمر بك منظم أمور قسم ثالث الشرقية، وثيقة ٣٧٤، ١٣ ربيع ١٢٤٢هـ/ ١٤ نوفمبر ١٨٢٦، ص ١٢٧.

(٣) محافظ عابدين: محفظة رقم ٥٥٥، مذكرة إيضاحية عن قبيلة أولاد على فى البحيرة، ١٩٠٣م؛ ليلى عبد اللطيف: سياسة محمد على إزاء العربان فى مصر، دار الكتاب الجامعى، القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٣.

(٤) سميرة فهمى على عمر: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٥) محافظ الديوان الخديوى: محفظة ١، دفتر ٥٨٦، وثيقة ٣١٧، ٢ ربيع الأول ١٢٦٣هـ/ ١٨ فبراير ١٨٤٦م.

(٦) لمزيد من التفصيل انظر: إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٧) أحمد لطفى السيد: المرجع السابق، ص ص ١٥ – ٢٥؛ ليلى عبد اللطيف: سياسة محمد على إزاء العربان فى مصر، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، سنة ١٩٨٦، ص ٥٣.

(٨) محكمة البحيرة: س ٢٤، م ٦٣٩، ١٥ جمادى الآخرة ١٢١٠هـ/ ٢٧ ديسمبر ١٧٩٥م، ص ٣٥٨.

(٩) نفسه: س ٩٢، م ١٦٠، ٢٥ من ذى الحجة ١٢٧٠هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨٥٤م، ص ٥٣؛ راجع ملحق رقم (١).

الطازج أو المجفف لبيعه بعد ذلك لصغار التجار فى القاهرة[١] وهى قبيلة مسالمة لا تشهر السلاح إلا للدفاع عن النفس، وبلغ عددها نحو ألفى رجل، وتعد من أكثر القبائل حفاظًا على العادات والتقاليد القديمة[٢].

– **قبيلة الحرابى:** وهى فرع من العقاقرة من قبائل سليم التى وفدت إلى مصر من طرابلس فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى[٣] وانقسمت إلى خمسة فروع هى: العبيدات، والحاسة والدرسة، والفوايد، والبراعصة، واستقرت بالبحيرة فى وادى النطرون، والفيوم[٤].

– **قبيلة السمالو:** وهى بطن من بنى عجلان، تنتسب إلى عرب الحجاز وأحيانا يطلق على أفرادها السمالوس، وهى من القبائل الرحل، يعيش أفرادها فى خيام، واستقروا بنواحى بحيرات وادى النطرون، وكانوا يقومون بنقل ملح النطرون مع عرب الجميعات إلى الطرانة[٥]، واستقر الجزء الأكبر منهم فى إقليم الفيوم، وكانوا يعيشون فى حرب مع قبائل الضعفا والفرجان[٦].

– **قبائل الجميعات:** وتتفرع عن قبائل سليم الوافدة من شمال غرب إفريقيا فى القرن الثامن عشر الميلادى، واستقر بعضها فى البحيرة فى وادى النطرون وأقام الفرع الآخر فى بنى سويف[٧].

بدو وادى النطرون والسلطة السياسية:

ونظرًا لتفشى أعمال الإغارة والنهب والسلب من غالب هذه القبائل – وهو ما كان يمثل عبئًا على الحكام، حيث إن من مسوغات كونهم حكامًا أن ينشروا الأمن بين رعاياهم، ومتى بدا منهم قصور فى التصدى لتلك القلاقل الاجتماعية استجلب ذلك سخط الرعية –

(١) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢) حلمى محروس إسماعيل: دراسات عن الحالة الاجتماعية فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٥م، ص ص ١٤١ – ١٤٣.

(٣) سميرة عمر: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: إيمان محمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص ٥٣.

(٥) محكمة النجيلة: س ٧٢٤، م ٣١٤، ١٥ جمادى الأولى ١٢٨٤هـ/ ١٤ سبتمبر ١٨٦٧م، ص ٧٤.

(٦) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ص ٥٨ – ٥٩.

(٧) محكمة البحيرة: س ٤٩، م ٧٥٢، ٦ رمضان ١٢٨٢هـ/ ٢٣ يناير ١٨٦٦م، ص ١٣٧؛ إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٦٧، ،راجع ملحق رقم (١).

فقد كان من دأبهم أن يحدوا من بطش تلك القبائل ويضربوا على أيدى المتطاولين منها بالسلب وإشاعة الذعر والشعور بعدم الأمان[١].

فمع أوائل القرن التاسع عشر، وصل العربان إلى أقصى درجة من القوة وشدة البأس وساعدهم على ذلك حالة الفوضى التى سادت فى الفترة ما بين جلاء الحملة الفرنسية وتولى محمد على الحكم عام ١٨٠٥م. فكانوا يخربون القرى ويفرضون الإتاوات على سكان الوادى، فضلاً عن اضطراب الأمن نتيجة لقيامهم بأعمال السلب والنهب[٢].

وقد عانى وادى النطرون كثيرًا من غارات العربان خلال حكم محمد على، فعلى سبيل المثال عانى أهالى كفر داود والطرانة من استيلائهم على أراضيهم وإتلاف مواشيهم لمزروعاتهم[٣]، كما دأب هؤلاء على سرقة مواشى ومحاصيل قريتى أبو نشابة والأخماس[٤]، كذلك اشتكى التجار الأوربيون للديوان الخديوى من اعتدائهم على مراكبهم ما بين الطرانة ورشيد[٥]، كما عانى ملتزمو النطرون من سرقتهم مادة النطرون من بحيراته خامًا، والاعتداء على قوافله والعاملين بها[٦] كذلك تعرضت على أيديهم أديرة الوادى للسلب والنهب[٧].

وحتى يتخلص محمد على من متاعب العربان، انتهج سياسة توطينهم لحماية قرى الوادى من اعتداءاتهم وتحقيق الاستقرار عن طريق منح شيوخ قبائلهم مساحات واسعة من أطيان الأبعادية وإعفائها من الضرائب، ولم يعطهم تقاسيط تثبت حيازتهم لها، وإنما وعدهم بألا يكلفوا بأعمال السخرة أو الخدمة العسكرية[٨] وعمل على إمدادهم بالبذور

(١) ديوان خديوى تركى: دفتر ٧٦٤، وثيقة ١٦٦، ٨ محرم ١٢٤٦هـ/ ٢٩ يونيو ١٨٣١م، ص ١١٨.

(٢) محكمة البحيرة الشرعية: س ٢٩، م ٢١٨، ٨ جمادى الآخرة ١٢١٨هـ/ ٢٥ سبتمبر ١٨٠٣م، ص ١٣٠؛ راجع: ملحق رقم (٢)، (٣).

(٣) معية سنية تركى: دفتر ٧٧، وثيقة ٥٦٥، ١٠ جمادى الأولى ١٢٤٠هـ/ ٣١ ديسمبر ١٨٢٤م، ص ٢٣٥.

(٤) مديرية البحيرة: س ١، صادر البحيرة إلى سايرة، وثيقة ٣٧٢، ٢١ جمادى الآخرة ١٢٦١هـ/ ٢٧ يونيو ١٨٤٥م، ص٦١٠.

(٥) ديوان خديوى: محفظة ١، دفتر ٥٨٦، من الديوان إلى يعقوب أغا سر سوارى فى البحيرة، ٢ ربيع الأول ١٢٦٣هـ/ ٢٨ فبراير ١٨٤٧م.

(٦) مديرية البحيرة: س ١، جـ ٢، صادر إلى سايرة، وثيقة ١٠١، غرة جمادى الأولى ١٢٦١هـ/ ٧ يونيو ١٨٤٥م، ص ٦٣٨؛ انظر ملحق رقم (٣).

(٧) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٢٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٨٤، وثيقة ١٩٠، ١٧ صفر ١٢٥٧هـ/ ١١ إبريل ١٨٤١م؛ انظر: شكل رقم (٣)، وملحق رقم (٥).

(٨) رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ٩٣.

الجيـدة، بالإضافة إلى أدوات الفلاحة[1]، كما وعدهم بشـراء حاصلاتهم نقدًا لتسـويقها بمعرفة الحكومة[2].

وبالرغم من ذلك فإنهم لم يألفوا حياة الاستقرار بسهولة، ولم يغيروا من أنماط حياتهم، وظل الكثيرون منهم يسـكنون الخيام، وتركوا الفلاحين يزرعون الأرض لحسـابهم مقابل نصـف المحصـول، فصدر أمر عـام ١٨٣٧م بمنع شـيوخ العربان من تأجـير أطيانهم أو مزارعتها (المشـاركة على محصولها) ولجأ الباشـا إلى إغرائهم عن طريق منحهم الكساوى وتولى الوظائف الحكومية لتشجيعهم على الاستقرار[3].

كما اسـتخدم الباشا أسلوب الشدة بجانب التوطين لردع العربان عن أعمالهم، بإصدار قـرار فى غايـة ذى الحجة ١٢٥٣هـ/ ٢٧ مـارس ١٨٣٨م إلى ناظرهـم يأمره بمنع عربان الجميعـات مـن إقامة خيامهم فى مـزارع الأهالى، لما فى ذلك من إيـذاء لهم[4]، كما أمره بإحضار مشايخ عربان الوادى الذين قاموا بنهب الأسواق والقرى إليه لتوبيخهم وعقابهم[5] وكان من شأن محمد على عندما كثرت أعمال النهب والسلب للقرى من قبائل العربان فى وادى النطرون وفقا لعادته بالترغيب والاستمالة والأخذ بالقوة والإرهاب، أن عين للأعراب مـن يتولى شـئونهم وينظر أمورهـم[6]، وهو الذى أطلق عليه ناظر العربـان[7]، وكان يصدر بتعيينه أمر عالٍ، واقتصرت الوظيفة على كبار العسكر[8].

---

(١) معية سـنية تركى: دفتر ٤٤، من الجانب العالى إلى أحمد باشـا، وثيقة ١٨٣، ٢٧ صفر ١٢٤٨هـ/ ٢٥ يوليو ١٨٣٢م، ص ١١٨.

(٢) أحمد محمد الدماصى: الاقتصاد المصرى فى القرن التاسع عشر، جـ ١(١٨٠٠م – ١٨٤٠م) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م، ص ١٩١.

(٣) ديوان خديوى: دفتر ٣، من الباشـا إلى مأمور الديوان الخديوى، وثيقة ٧٨٩، ١٩ شـوال ١٢٤٧هـ/ ٢٢ مارس ١٨٣٢، ص١٦٨؛ الوقائـع المصرية: عدد ٣٨٤، ٢١ ذى الحجـة ١٢٤٧هـ/ ٢٢ مايو ١٨٣٢م، رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ٩٣.

(٤) ديوان شـورى المعاونة: محفظة ١٥، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٨٤، وثيقة ١٠٨١، غاية ذى الحجة ١٢٥٣هـ/ ٢٧ مارس ١٨٣٨م.

(٥) معية سنية تركى: دفتر ٤٤، من الجانب العالى إلى أحمد باشا، وثيقة ١٨٣، ٢٧ صفر ١٢٤٨هـ/ ٢٥ يوليو ١٨٣٢م.

(٦) مديريـة البحيرة س ٩٨٢، وارد من سـر سـوارى وناظـر العربان، وثيقة ٣٨، ٧ شـوال ١٢٦٠هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٨٤٤م، ص ١٦١، انظر: ملحق رقم (٢).

(٧) حامد على دسـوقى: النظام الإدارى فى عهد إسماعيل، رسـالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٥٥م ، ص ٢٢٠، إيمان عامر، المرجع السابق، ١٨٥.

(٨) مديريـة البحـيرة: س ٢٥٠، صـادر الفروع إلى جهات سـايرة، وثيقة ٧، ٧٢٩ محـرم ١٢٦٦هـ/ ٢٣ نوفمبر ١٨٤٩م، ص ١٦١.

وكان من اختصاصاته بالوادى، معرفة قبائل العربان وعددهم وأطيانهم، وكيفية استخدامهم فى تأدية خدمات الدولة من ردم البرك وتمهيد الطرق والمسالك التى تعرقل مرور العسكر بالوادى لتأدية المهام المكلفين بها[١]، بالإضافة إلى تربية الخيول وتوفير الغلال والعليق اللازم تقديمه للجهادية[٢]. ونقل النطرون من الوادى إلى الطرانة لتسويقه، ويرجع ذلك لخبرتهم بالمنطقة، وإن اقتصر ذلك على عربان الجوابيص بالوادى[٣].

وكانت الأوامر تصدر إلى مشايخ العربان بضرورة التعاون مع ناظرهم لتأدية مهامه، مثلما كان من تعاون شيخ عربان أولاد على والجوابيص مع خليل أغا فى ضبط أصحاب الشبهات[٤] والمعتدين على المارة بالطرق لإعادة السكينة والهدوء بالوادى[٥].

وكان من شأن الناظر أحيانا أن يستعين بقوات عسكرية لقهر العربان وإجبارهم على تنفيذ ما يطلب منهم بالقوة عند عصيانهم إياه، ومن ذلك عندما تراجع عربان الوادى عن توفير الخيول والبرسيم والعليق والغلال للجهادية[٦]. وعن نقل الملح والنطرون إلى الطرانة إلا بعد أخذ أجورهم، فكان أن استعان بقوات عسكرية لردعهم[٧].

وعندما دأب أولاد على بالوادى على التوجه إلى رشيد لسرقة البلح والاعتداء على الأهالى صدر أمر إلى محافظ رشيد فى أكتوبر ١٨٣٤م بضبط اثنين منهم، ليصلب أحدهما ويرسل الآخر إلى السجن ليكونا عبرة لغيرهما، مع التنبيه على مشايخهم بعدم السماح لرجالهم بالذهاب إلى رشيد إلا للضرورة القصوى[٨].

وعلى أية حال، كان على ناظر العربان التحقيق مع مشايخ العربان فى حالة تعديهم بالسلب والنهب لقبائل التجار والمراكب النيلية لضبطهم وعقابهم، بين الطرانة

(١) نفسه: س ٩٨٢، وارد من سر سوارى وناظر عربان، وثيقة ٧، ٣٨ شوال ١٢٦٠هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٨٤٤م، ص ١٦١.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه: س ١٠٣٤، وارد من مصلحة الأطرون، وثيقة ١٣، ٦٨٥ جمادى الآخرة ١٢٨٥هـ/ ٣٠ أغسطس ١٨٦٨م، ص ١٤٧.

(٤) نفسه: س ٢٨٨، صادر الفروع إلى سو سوارى خليل أغا، وثيقة ٢٦٥، ١٢٦٨هـ/ ١٣ يوليو ١٨٥١م، ص ١٣٥.

(٥) نفسه: س ٣٢٥، وثيقة ٢، ٢٠٣ ربيع أول ١٢٧٠هـ/ ٣ ديسمبر ١٨٥٣م، ص ٨٣.

(٦) نفسه: س ٩٨٠، وارد سر سوارى عساكر أغا، وثيقة ١٠، ١٦ صفر ١٢٧٤هـ/ ٦ أكتوبر ١٨٥٧م، ص ١٣.

(٧) نفسه: س ١٠٣٤، وارد مصلحة الأطرون، وثيقة ١٣، ٦٨ جمادى الآخرة ١٢٨٥هـ/ ٣٠ أغسطس ١٨٦٨م، ص ١٤٧، راجع ملحق رقم (٤).

(٨) إيمان محمد عامر: المرجع السابق، ص ٨٠.

والمحمودية[1]، فيحالون إلى مفتشى عموم الوجه البحرى، لرد ما استولوا عليه، ودفع غرامة مالية كبيرة[2].

كما كان على ناظر العربان الدفاع عن حقوق القبائل أمام الجهات المختصة، ومن ذلك ناظرهم وكيل مصلحة الأطرون بسداد أجرة جمال قبيلة الجوابيص التى نقلت النطرون من الوادى للطرانة[3].

ومع بداية حكم عباس (١٨٤٨م – ١٨٥٤م) سرعان ما عاد العربان لسيرتهم الأولى من الارتكان إلى السلب والنهب بالوادى، ومثال ذلك عندما دأبت مجموعة من عربان الفوايد بالتعدى على الأخماس، وسلب مواشيهم ونهب محصولهم الزراعى[4]، كما قام عربان الجميعات والهنادى بقطع الطرق الفرعية بين قرى الوادى وفرض إتاوات على سكانها[5] فأصدر عباس الأول أمرا (١٨٥٠م) هددهم فيه بنزع أطيانهم منهم إذا لم يكفوا عن أعمالهم وأن يتولوا فلاحتها بأنفسهم[6].

وعندما تولى محمد سعيد باشا الحكم (١٨٥٤م – ١٨٦٣م) قرَّب الفلاحين إليه وكره العربان، بل قام بتأديبهم بحرمانهم من كل ما منحه لغيرهم، وأراد إدخالهم فى الخدمة العسكرية[7] فكان نتيجة ذلك أن قام عربان وادى النطرون بمشاركة أقرانهم فى الفيوم بثورة، أعلنوا فيها سخطهم بأسلوبهم البدائى باعتدائهم على الفلاحين بالسلب والنهب، كما تعرضت قريتا البريجات والأخماس منهم[8] لذلك، فما كان من سعيد إلا أن أصدر

(١) مديرية البحيرة: س ٤٢٩، صادر الفروع لسر سوارى، وثيقة ٢٨، ٢٨٠ صفر ١٢٨٣هـ/ ١٢ يوليو ١٨٦٦م، ص ١٤٧.

(٢) نفسه: وثيقة ١٧، ٨٦ جمادى الآخرة ١٢٨٣هـ/ ٢٧ أكتوبر ١٨٦٦م، ص ٩٥.

(٣) نفسه: س ٢٠٥، صادر الدواوين للمالية، وثيقة ١٦٧، ٥ صفر ١٢٩١هـ/ ٢٤ مارس ١٨٧٤م، ص ١١٣.

(٤) محافظ مديرية البحيرة: محفظة ١، وثيقة ٩، بتارخى غرة جمادى الأولى ١٢٦٨هـ/ ٢٢ فبراير ١٨٥٢م، انظر: ملحق رقم (٢).

(٥) معية سنية عربى: س ٤٤، من المعية إلى مديرية الضبطية، مضبطة رقم ٦٧٤، ٢٥ رجب ١٢٦٦هـ/ ٦ يونيو ١٨٥٠م، ص ٦٧٤.

(٦) رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٧) ديوان الجهادية: س ٤٥١، وثيقة رقم ٢٣، ٢٥ شوال ١٢٧٦هـ/ ١٦ مايو ١٨٦٠م، ص ٣٧.

(٨) محافظ الأبحاث: محفظة ١١٨، معية سنية تركى: دفتر ١٦٤٣، جـ ١، صادر المعية إلى مديرية البحيرة ٢ صفر ١٢٧٥هـ/ ١١ سبتمبر ١٨٥٨م؛ مديرية البحيرة، س ١١٣، صادر دواوين للروضة، وثيقة ٢٤٤، ١٦ شوال ١٢٧٤هـ/ ٣١ مايو ١٨٥٨م، ص ١٤٢.

أوامره بإبادتهم فى تلك المنطقة، وقضى على ثورتهم، بعد أن حاصرهم وقتل الكثير منهم، وسجن رؤساءهم فى ليمان القلعة السعدية[١].

وكثيرا ما كان البدو يثيرون الاضطرابات، وقد شهد عصر إسماعيل بعضها فى وادى النطرون، فعلى سبيل المثال قامت قبيلتا السمالو والحرابى، بسلب ونهب فلاحى قريتى الخطاطبة والطرانة والاعتداء عليهم[٢]، فما كان من الحكومة إلا أن قامت بإرسال أشقيائهم إلى ليمان القلعة السعدية، ورؤسائهم إلى نواح متفرقة بصعيد مصر[٣].

ولجأت الحكومة للحد من هذه الاضطرابات إلى توطين البدو، فأصدرت فى ١١ نوفمبر ١٨٦٣م أمرًا إلى تفتيش عموم الأقاليم يقضى بعدم جواز تصرف البدو فى الأطيان المعطاة لهم بالبيع أو الهبة أو الاستبدال أو الرهن، أو غير ذلك من دروب التصرف، وألا تنتزع الأطيان من أيديهم ما داموا يسددون ما عليها من أموال، بشرط أن يتركوا سكنى الخيام، وتئول هذه الأطيان إلى الدولة إذا لم يكن هناك من يستحق أن يأخذها[٤]. كما لجأت الحكومة إلى استخدام القوة العسكرية من أجل توطين العربان، عن طريق ردعهم عسكريًّا للتخلص من أعمال السلب والنهب والسرقة والقتل، وأن يسكنوا المنازل ويتركوا الخيام ومن يفعل غير ذلك يعرض نفسه للعقاب[٥].

ولعبت بعض قبائل العربان دورًا سلبيًّا فى الثورة العرابية عام ١٨٨١م، وكان من أولئك عرب الهنادى فى البحيرة بوادى النطرون بقيادة شيخهم محمود سلطان، الذى وضع نفسه فى خدمة معارضى الثورة، وأصبح الواسطة بين عربان الوادى والخديوى توفيق (١٨٧٩ – ١٨٩٢م) الذى مضى فى التقرب إليهم، حيث وعد أقرانه بالرتب والأوسمة على أن يبذلوا الطاعة للخديوى والإنجليز، وينبذوا طاعة الثوار، وسار على طريقة معينة اتصف بها، وهى

(١) لطيفة سالم: القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١م، ص ١٤٧.

(٢) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٦، دفتر ١٩١٤ أوامر، أمر كريم إلى مديرية البحيرة، رقم ٧، ١٥ شعبان ١٢٨١هـ/ ١٣ يناير ١٨٦٥م، ص ٢٠.

(٣) معية سنية تركى: دفتر رقم ١٩٢٣، صادر أوامر، أمر كريم إلى تفتيش عموم الأقاليم، رقم ٤٩، ٦ من ذى الحجة ١٢٨٣هـ/ ١١ إبريل ١٨٦٧م، ص ٧٠.

(٤) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٠، دفتر ١٩٠٧ أوامر، أمر كريم إلى ديوان المالية، رقم ٣٢، ٢٨ جمادى الأولى ١٢٨٠هـ/ ١١ نوفمبر ١٨٦٣م، ص ٥٠؛ رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ص ٩٥ – ٩٦.

(٥) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٠، دفتر ١٩٠٧، أوامر، أمر كريم إلى ديوان المالية، رقم ٣٢، ٢٨ جماد أول ١٢٨٠هـ/ ١١ نوفمبر ١٨٦٣م، ص ٥٠.

إحياء العداء والغيرة بينهم وبين الفلاحين[١]، كذلك قبيلة أولاد على بالوادى أمكن للخديوى شراء قائدها ودعمه بثلاثة آلاف فارس فى مقابل حصولها على عشرين ألف جنيه[٢].

وواصلت سلطات الاحتلال البريطانى لمصر خلال الفترة ما بين (١٨٨٢ – ١٩١٤م) سياسة استخدام القوة العسكرية لردع اعتداءات العربان على قرى وادى النطرون حتى لا يعرقلوا مصالحها الاقتصادية مثل تجارة النطرون، وشركة الملح والصودا، ومشروعات الرى واستصلاح الأراضى، أو سير مراكبها بالنيل ما بين القاهرة والإسكندرية أو رشيد[٣] للحفاظ على الأمن بتوطينهم من خلال تشديد العقوبات التى توقع على ساكنى الخيام وقطاع الطرق والعصابات المسلحة من العربان وتأديب شيوخهم، مثلما مارست ذلك على قبيلتى أولاد على والحرابى[٤].

وبالرغم من الدور السلبى للعربان، فقد كان لهم أيضًا دور إيجابى فى وادى النطرون خلال القرن التاسع عشر، فمنذ بداية حكم محمد على وقيامه بتوطينهم، احترفت بعض القبائل ومنها بنو عونة وأولاد على والجميعات حرفة الزراعة، وساهمت فى إنتاج المنتجات الزراعية، بالإضافة إلى منتجات الرعى[٥].

كما استعان الباشا بمشايخ عربان الوادى من أجل توفير وشراء الخيول والجمال اللازمة لإعداد الجيش لحروبه، مثلما قام باستدعاء الشيخين حمد المقرحى وعمر هنداوى لشراء صفقة خيول من عربان وادى النطرون، وجمال من المغرب[٦] وعندما أراد تحسين سلالة الأبقار فى مصر، استعان بهم لشراء أبقار من السودان[٧] كذلك استخدم بعضهم فى الرعاية البيطرية للثروة الحيوانية لخبرتهم بها[٨].

---

(١) لطيفة سالم: المرجع السابق، ص ص، ٢٥٠ – ٢٥١.

(٢) محافظ عابدين: محفظة رقم ٥٥٥، مذكرة إيضاحية عن قبيلة أولاد على فى البحيرة، منذ مجيئها حتى سنة ١٩٠٣م.

(٣) شركات وجمعيات: مجلس الوزراء: محفظة ١٧٠، ١/ أ، ١٩ إبريل ١٨٩٩م.

(٤) محافظ مجلس الوزراء: مجلس النظار، محفظة ٥/ ب، ٢٠ شعبان ١٣٠٧هـ/ ١٠ إبريل ١٨٩٠م.

(٥) مديرية البحيرة: س ٨٣٥، وارد إلى سايرة، وثيقة ٣١٨، ٢٨ شوال ١٢٦٤هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٨٤٨م، ص ١٢٤.

(٦) معية سنية عربى: دفتر ٨، أوامر، أمر كريم إلى شيخ عربان الجميعات، وثيقة ٤٣، ٢٨ صفر ١٢٥٢هـ/ ١٥ يونيو ١٨٣٦م، ص ٣٥.

(٧) نفسه: دفتر ٣٣، من الجناب العالى إلى مأمور نصف البحيرة، وثيقة ١١٨، ١٠ ربيع الأول ١٢٤٣هـ/ أول أكتوبر ١٨٢٧م، ص ٩٤.

(٨) نفسه: محفظة ١٨، ملخصات دفاتر، وثيقة ٣٩، ١٢ ربيع الآخر ١٢٥٢هـ/ ١٦ يوليو ١٨٣٧م.

كما ساهم عربان وادى النطرون بتقديم جمالهم للمحمل الشريف ومنهم عربان الهنادى، بالإضافة إلى نقل الغلال والمؤن والبريد والمرتبات إلى الحجاز[١] كما استخدمت خيولهم وجمالهم لمرافقة رجال الدولة أو ضيوفهم من الأجانب فى ترحالهم وسفرهم داخل الوادى[٢]. كذلك اعتمدت عمليات اقتلاع النطرون من مغارته وحراسته ونقله وتجارته على نحو ما رأينا – على عربان الجميعات والحرابى والسمالو[٣].

وساهم عربان وادى النطرون فى نظارة بعض النواحى، فعلى سبيل المثال صدر إشعار برفع محمد المقرحى شيخ عربان أولاد على من نظارة سيوة وإسنادها إلى شيخ عرب الجميعات هنداوى أبو الدهب مع إلزام عربان سيوة بدفع ما عليهم سنويًّا له (١٢ ألف قرش)[٤].

وقد استعان عباس الأول (١٨٤٨م – ١٨٥٤م) بعربان وادى النطرون من أجل إعادة الأمن إليه، كما حدث عندما لقى كل من خير الله محمد ومحمد أبو قلادة من عربان الجميعات مصرعهما على يد حمد خطاب، وهروبه من سجن دمنهور[٥] وإلزام مشايخ عربان أولاد على بالبحث عنه وتقديمه للعدالة[٦]، كذلك أسند إليهم الإبلاغ عن الأشقياء من أقرانهم والمتسحبين من قراهم[٧].

واعتمد محمد سعيد باشا (١٨٥٤ – ١٨٦٣م) على بعض قبائل عربان وادى النطرون للقضاء على ثورتهم فى الفيوم، فاستعان بشيخ عربان السمالو عوض كرمة وأخيه خليفة للتجسس على أقرانهم الثوار وضبطهم والقضاء على ثورتهم، وكافأهم مقابل ذلك بمبلغ

(١) لمزيد من التفصيل انظر: إيمان محمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص ص ١٨٩ – ١٩١.

(٢) ديوان شورى المعاونة: دفتر ١٥٨، أمر إلى مدير نصف البحيرة، وثيقة ١٠٨١، ذو الحجة ١٢٥٣هـ/ ١٦ إبريل ١٨٣٨م، ص ٢١٢.

(٣) مديرية البحيرة: س ٢٣٥، صادر الفروع إلى سايرة، وثيقة ٢٠٠٨، ٤ شعبان ١٢٦٢هـ/ ٢٨ يوليو ١٨٤٦م، ص ٣٧٨؛ راجع ملحق رقم (٣).

(٤) معية سنية عربى: دفتر بدون رقم، أمر من خليل أفندى إلى بعض مشايخ سيوة، وثيقة ٢٢٨، ١٨ أكتوبر ١٨٣٤م، ص ١٢٦.

(٥) مديرية البحيرة: س ٣٠٢، وثيقة ١٧٥، صادر الفروع إلى سر سوارى خليل أغا، بتاريخ ١١ ربيع الثانى ١٢٦٩هـ/ ٢٢ يناير ١٨٥٣م، ص ٧٤٤.

(٦) نفسه: مادة ١٨٦، ١٨ ربيع الآخر ١٢٦٩هـ/ ٢٩ يناير ١٨٥٣م، ص ٧٧٦.

(٧) معية سنية عربى: دفتر ٦٦، من المعية السنية إلى مديرية البحيرة، ٥ من ذى القعدة ١٢٦٧هـ/ الأول من أكتوبر ١٨٥٠م، ص ٢١.

٥٠٠٠ قرش[١]، كذلك كلف شيخ عربان الجميعات عمر الهنداوى بالتوجه بقبيلته بعد إمداده بـ ٢٥٠٠ آقة بقسماط إلى صعيد مصر لقضاء مأموريته فى ردع إحدى قبائل العربان[٢]، كما استعان سعيد باشا بعربان وادى النطرون للعمل فى الجيش، وكان عملهم أساسًا فى فرق الفرسان، وكلفوا بأن يحضروا خيولهم معهم[٣]. وبالرغم من اعتراض العربان على التجنيد، فقد حفلت الوثائق بالأوامر إلى مشايخهم بدعوة أبنائهم إلى الجهادية، ومن ذلك صدور أمر إلى مشايخ عربان أولاد على والجميعات والحرابى بتقديم مائتين منهم للتجنيد[٤].

وكذلك اعتمد الخديوى إسماعيل (١٨٦٣م – ١٨٧٩م) على عربان وادى النطرون فى تأدية بعض المأموريات الأمنية خارج حدود مصر، كما نرى من تكليف شيخ عربان الجوابيص رحيم تعلب وآخرين بالتوجه إلى طرابلس الغرب (ليبيا) لإحضار بعض المتهمين ومنهم شيخ عربان محايد نعومة الذى شق عصا الطاعة فى عهد سعيد باشا ونفى إلى الآستانة (عاصمة الدولة العثمانية) ولكنه هرب إلى طرابلس[٥]، كذلك إحضار الأفراد المتهمين بقتل من يدعى الصابر أبو مسعود من جماعة الجوابيص، لملاقاة جزائهم والحفاظ على أمن البلاد[٦].

وكذلك أسند الخديو إسماعيل إلى بعض قبائل عربان وادى النطرون؛ مهمة تأمين منطقة قناة السويس فى أثناء حفلة افتتاحها للملاحة الدولية فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩م، بالإضافة إلى مشاركة بعض مشايخ عربان الوادى فى تقديم عرض للخيالة بمصاحبة الاحتفال[٧].

---

(١) ديوان خديوى: محفظة رقم ٨، من محمد فاضل لواء الطوبجية السعيدية إلى الخازن الخديوى، وثيقة ٤٨٠، ١٦ محرم ١٢٧٢هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٨٥٥م.

(٢) معية سنية عربى: دفتر ١٨٢، جـ ١، أوامر، أمر كريم إلى ديوان المالية، وثيقة ١٣٨، ٢٢ شوال ١٢٧١هـ/ ٧ يوليو ١٨٥٥م، ص ٤٩٢.

(٣) مديرية البحيرة: س ١٢٣، صادر دواوين للجهادية، وثيقة ١١٥، ١٩ جمادى الأولى ١٢٧٧هـ/ ٤ ديسمبر ١٨٦٠م، ص ٩٢.

(٤) ديوان معية سنية عربى: س ١/ ٩/ ٣، وثيقة ١٨، ١٣ ربيع الأول ١٢٧٧هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٨٦٠م، ص ٤٧.

(٥) نفسه: محفظة ٧، دفتر ١٣٢، من محمد فاضل إلى خازن الخديوية، وثيقة ٢٦٩، غرة ذى القعدة ١٢٨١هـ/ ٢٨ مارس ١٨٦٤م.

(٦) مديرية البحيرة: س ٤٢١، صادر فروع لسرسوارى، وثيقة ٦١، ١٣ محرم ١٢٨٣هـ/ ٢٨ مايو ١٨٦٦م، ص ١٩١م.

(٧) نفسه: س ١٠٤٠، جـ ٥، وارد الفروع إلى سرسوارى، وثيقة ٣٠٦، ١٥ شعبان ١٢٨٦هـ/ ٢٠ نوفمبر ١٨٦٩م، ص ٥٤.

بالرغم من أن أصابع الاتهام تشير إلى أن العربان كان لهم دور أساسى فى هزيمة العرابيين بخيانتهم لهم؛ مما أدى إلى سقوط البلاد تحت سيطرة الاحتلال البريطانى ١٨٨٢م، فلم يكن كل العربان على شاكلة واحدة؛ فهناك عدة إشارات بالوثائق تؤكد مساندة قبيلتى الجميعات والحرابى للثوار[١]، كذلك شارك الباسل شيخ قبيلة الرماح المنتشرة فيما بين وادى النطرون والفيوم فى إمداد الثوار بالمؤن، وشارك ابنه محمود الباسل مع الثوار وقبض عليه، وصدر حكم بإعدامه رميًا بالرصاص، ولكنه استطاع الهرب، فقبض الإنجليز على أخيه رحيم وأعدم بدلاً منه بناء على حكم صدر من المحاكم الإنجليزية[٢].

كما شهدت الفترة ما بين (١٨٨٢م – ١٩١٤م) اعتداءات العربان المستمرة على جنود ومراكب الإنجليز، وشاركهم الفلاحون فى هذه الاعتداءات منددين بسياستهم، ومطالبين بالجلاء عن البلاد[٣].

اعتداءات العربان على أديرة وادى النطرون:

تعتبر مشكلة اعتداءات العربان على أديرة وادى النطرون من المشكلات القديمة التى يعود تاريخها إلى أوائل القرن الخامس الميلادى، ويرجع ذلك إلى الطبيعة الصحراوية القاسية، وحياة البداوة وعدم الاستقرار والترحال والتجول للبحث عن قوت يومهم؛ لأنه لم يكن لديهم مصدر ثابت للعيش، مما جعلهم فى حالة حرب مستمرة لقيامهم بأعمال السلب والنهب والتخريب؛ ومنذ ذلك القرن وحتى أواخر القرن التاسع عشر[٤] لم يكفوا عن غاراتهم المفاجئة لأديرة الوادى ورهبانه، فأنزلوا بهم الكثير من الظلم نتيجة للعنف الذى كانوا يستعملونه معهم حتى إن بعض الرهبان كانوا يفرون إلى المغارات والشقوق عند اقترابهم تاركين وراءهم كل شىء، مما ترتب عليه خراب كثير من الأديرة التى كانت منتشرة بالوادى[٥].

---

(١) مديرية البحيرة: س ٢٣٠، صادر دواوين إلى سايرة، وثيقة ١٩٦، ١٠ من ذى الحجة ١٢٩٩هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٨٨٢م، ص ١٧٣.

(٢) وطنى: عدد ٢٣٧٠، ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٧ مايو ٢٠٠٧م، ص ١٤.

(٣) محافظ الأبحاث: محفظة ١٢٥، أوراق ومستندات تتعلق بالثورة العرابية والاحتلال البريطانى، دوسيه ٣، وثيقة بدون رقم، ٢٨ أغسطس ١٨٨٢م.

(٤) انظر: ملحق رقم (١)، (٢)، (٣)؛ حلمى محروس: المرجع السابق، ص ص ١٤٢ – ١٤٣.

(٥) إيفلين هوايت: تاريخ الرهبنة القبطية فى الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادى النطرون منذ القرن الرابع الميلادى إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، ط ١، جـ ٢، ترجمة بولا البراموسى، دير البراموس – وادى النطرون ١٩٩٧م، ص ص ٣٤ – ٤١.

وقد تعرضت أديرة وادى النطرون لسلسلة من الغارات، كان أشدها ما بين عامى (٤٠٧هـ/ ١٠٦٩م)[١] وكان يصاحب هذه الاعتداءات عمليات سلب ونهب وقتل وأسر للرهبان لمدة تطول أو تقصر، ولكن عقب كل غارة كان الرهبان يعودون فيتجمعون فى البرية من جديد، ليعيدوا بناء ما قد تخرب، وجمع شتات تلاميذ الرهبنة[٢].

ونتيجة لاعتداءات العربان تناقصت أعداد أديرة وادى النطرون، فبعد أن كانت نحو خمسين ديرًا منذ القرن الخامس الميلادى أصبحت نحو عشرة أديرة فقط عند مجىء الفرنسيين إلى مصر سنة ١٧٩٨م واندثرت منها ستة أديرة، ولم يبق سوى أربعة عامرة – على نحو ما رأينا – خلال فترة الدراسة[٣].

على أية حال، لم تسلم هذه الأديرة من أيدى العربان المغيرين، ومن ذلك تعرُّض دير البراموس فى أوائل القرن التاسع عشر لهجماتهم، فأعملوا السلب والنهب والقتل بين نساكه وحل الخراب كالمعتاد فهرب أغلب الرهبان وتشتتوا فى جميع أنحاء البرية، ولم يتبق إلا راهب واحد يدعى عوض الإبراهيمى[٤] وبعد فترة ليست بقصيرة عاود العربان الاعتداء على نفس الدير مرة ثانية ولكن باءت محاولتهم بالفشل؛ لأن الدير كان محصنًا جيدًا من قبل الراهب الكفيف[٥].

وكان هجوم العربان على أديرة وادى النطرون لا ينقطع، خاصةً إذا ما ترامى إلى علمهم انتعاش الأديرة وازدهارها فكانوا يعيدون الكرة والانقضاض على الأديرة ورهبانها وسلب ونهب ما بها، مثلما تعرض دير الأنبا بيشوى لهجوم من جانب مجموعة من العربان انتهى باستيلائهم على ما يمتلكه الدير من أدوات ومؤن غذائية[٦].

---

(١) للمزيد من التفصيل انظر: سمير جرجس، هجمات البربر على وادى النطرون ونتائجها، مطبعة كامل، البحيرة، سنة ٢٠٠٣م المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢) بولا البراموسى: دير السيدة العذراء براموس، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد الدراسات القبطية، القاهرة ١٩٩١م، ص ص ١٤١ – ١٤٣.

(٣) داود مرقس حناوى، القمص: مخطوط، تاريخ البطاركة، جـ ٢، ١٦٥٣ش/ ١٩٣٦م ، ص ص ٥٧٢ – ٥٧٣؛ انظر: شكل رقم (٣).

(٤) تعداد نفوس: س رقم ١٧٩، ل/ ٩/ ٧٩/ ٥٤ تعداد ناحية كفر داود بقسم النجيلة، لسنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، ص ٣١.

(٥) بولا البراموسى: دير السيدة العذراء، المرجع السابق، ص ص ١٤٢ – ١٤٤.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٢١١٣، ٨ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٥ مارس ١٨١٠م.

وكذلك تعرض دير الأنبا مقار لاعتداءات من عربان الواحات والفيوم، فنهبوا ما فيه من متاع وزاد وجردوا من فيه مما عليهم بالقوة[١].

وزادت اعتـداءات العربان على أديرة الوادى فى موسـم اقتـلاع النطرون، حيث كانوا يجتمعون ويسـكنون حول بحـيرات النطرون، وتعددت قبائلهم، فـكان منهم الجميعات والجوابيـص والحرابى وغيرهم، فأتاحت لهـم الفرصة الإقامة إلى جوار الرهبان، مما أدى إلى اعتداءاتهم على أديرتهم من أجل أعمال السلب والنهب[٢].

ولجأ بعض العربان خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلى الاعتداء على القوافل والمترددين على الأديرة والعاملين عليها، ومن ذلك اعتداء بعض العربان على قافلة متجهة إلى دير السريان قادمة من عزبة الدير بأتريس بالجيزة وسلبهم ما بها من بلاطه لفرن الدير ومؤن غذائيـة للرهبان[٣]، كما اعتدى آخرون مـن العربان على مجموعة من المترددين على الأديرة وجردوهم من أموالهم وملابسهم[٤] على صراف عزبة دير السريان ونهبوا ما معه من أموال[٥].

وخلاصـة القول إنه فى النصف الثانى من القرن التاسـع عشـر قلت الاعتداءات على أديـرة وادى النطرون، وما حـدث منها فهى حالات تكاد تكون فردية، فربما يرجع ذلك إلى سياسـة محمد على التى اتبعها خلال النصف الأول من القرن التاسـع عشـر نحو نشر الأمـن وتوطين البدو بالبلاد مما حدَّ من هذه الاعتداءات، وقد اسـتمرت هذه الحال حتى نهاية القرن التاسع عشر[٦].

أمـا فيمـا يتعلق بموقف رهبان أديرة وادى النطرون من اعتـداءات العربان، فقد عملوا علـى تحصين الدير أمامهم، بتعليته وترميم أسـواره، ومراقبتهـا من غرفة الرقوابة (غرفة المراقبة)[٧]، أو ضرب الناقوس ضربًا مختلفًا كإشارات دالة على أن هناك خطرًا من غارات

(١) معية سنية عربى: دفتر ١٦٠٩، أوامر، أمر رقم ٩٥، ٤ ربيع ١٢٤٨هـ/ ١ أغسطس ١٨٣٢م، ص ١٣.

(٢) محكمة البحيرة الشرعية: س ٢٧، م ٦٢٥، ١ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ/ ١١ أغسطس ١٨٠١، ص ٣١٤؛ ديوان معية سنية عربى، دفتر ١٤، أوامر، أمر مرقم ٣٨، ٩ جمادى الأولى ١٢٦١هـ/ ١٦ مايو ١٨٤٥، ص ٦.

(٣) وثائق دير السريان: ملف القوافل، وثيقة رقم ٩٣٥، ١٧ أمشير ١٥٩٨ش/ ١٨٨٢م.

(٤) نفسه: وثيقة ٤٦٩، ٢٢ بؤنة ١٦١١ش/ ١٨٩٥م.

(٥) نفسه: وثيقة ٩٧٠، أول مارس ١٨٩٤م.

(٦) معية سنية تركى: محفظة ٢٢، ملخصات دفاتر، دفتر ٥٩٢، وثيقة ٣٣٧، ٢١ شعبان ١٢٦٤هـ/ ٢٣ يوليو ١٨٤٨م.

(٧) تأليف علماء الحملة الفرنسـية: المرجع السـابق، جـ ٢، ص ٦٧؛ إيفيلين هوايت، المرجع السابق، جـ ٣، ص ص ١٥ – ١٨.

للعربان أو قطاع الطرق واللصوص الفرادى وعابرى السبيل، فكان الناقوس لغة مفهومة من طرف واحد وهو الرهبان[1].

كما لجأ رهبان وادى النطرون إلى العربان أنفسهم لحراستهم فى مقابل تقديم واجب الضيافة؛ لأن العربان كانوا يتنقلون من مكان إلى مكان ليلاً، ويمرون بالأديرة فى أثناء جولاتهم ويتوقفون ليتناولوا طعامهم ولكى يستريحوا ويريحوا خيولهم، وكانوا يقدمون إليهم واجب الضيافة من وراء الجدران، فلا يفتحون الأبواب ليلاً، وقد اضطروا إلى ذلك حتى لا يتعرضوا لاعتداءاتهم خارج الأديرة نهبًا أو سلبًا أو قتلاً[2].

ومع هذا فقد اعتمد رهبان أديرة وادى النطرون على بعض العربان فى تأدية بعض الخدمات التى قد تعرضهم للاعتداء بالسلب أو النهب، وكان من ذلك لجوء رهبان دير الأنبا بيشوى إلى على صالح والحوفى الحجاوى لرعى مواشى الدير بالوادى[3]، كذلك اعتمد دير السريان على منصور عامر[4] وعامر شريعة فى صحبة قوافل المؤن ما بين عزبة الدير باتريس والدير الذى بالوادى[5].

ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك الاعتداءات كان يتخللها بعض العلاقات الحميمة بين الرهبان والعربان، فعلى سبيل المثال حدث صراع بين اثنين من العلمانيين ممن هم تحت الاختبار للرهبنة بديرى السريانى والأنبا بيشوى، وصل خبره إلى حاكم الطرانة، فتدخل أحد العربان لديه ووعده بإنهاء النزاع والصلح فيما بينهما فحكم على كليهما بغرامة خمسة قروش تدفع لدى الحاكم ووافق الطرفان على حكم الأعرابى[6]، وعندما وشى أحد الرهبان للبابا كيرلس الخامس باستيلاء القمص يوحنا على أموال الدير، قام عربان وادى النطرون بكتابة شهادة موقعة من مجموعة منهم تشهد بحسن سير وسلوك والتزام هذا؛ لإزالة شك البطريرك[7].

---

(١) سمير جرجس: المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، جـ ٢، ص ص ٦٦ – ٦٧.

(٣) مديرية البحيرة: س ١٠٣٢، وارد الفروع لقسم النجيلة، وثيقة ٨٨٨، ٧ من ذى القعدة ١٢٨٤هـ/، ص ١٥٥.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة ٩٣٥، ١٧ أمشير ١٥٩٨/ ١٨٨٢م.

(٥) نفسه: وثيقة ١٣٠٥، ١٦٠١ش/ ١٨٨٥م.

(٦) دير السريان: مخطوط ٢٤٩، ميامر، ١٥٨١ش/ ١٨٦٥م؛ انظر: ملحق رقم (٥).

(٧) نفسه: وثيقة رقم ٦٠٩، ٧ يناير ١٨٩٣م.

كمـا اعتمدت أديرة وادى النطرون علـى العربان فى عملية النقل مثل نقل بعض مواد البنـاء والمؤن من عزب الأديـرة بأتربيس بالجيزة وكفر الدوار بالبحـيرة[1]، ونقل الرهبان والزائرين بواسطة الإبل ودواب الحمل من الأديرة إلى الطرانة لوجود مرسى للنيل بها حتى يتسنى لهم الانتقال إلى القاهرة أو الإسكندرية أو رشيد[2]، كذلك إمدادهم بالعمالة فى بعض الأشغال المؤقتة بالدير أو الدائمة بعزب الأديرة، وكل ذلك كان لا يمكن أن يتم إلا فى جو تسوده العلاقات الحميمة بين الرهبان والعربان[3].

خاتمة:

ونخلص مما سـبق إلى أن بـدو وادى النطرون ينتمون إلى أصول وقبائل هاجرت من شـبه جزيرة العرب، وخاصة بعد الفتح العربى الإسلامى، وقبائل هاجرت من شمال غرب إفريقيا، وأن بعض هذه القبائل اندمجت فى المجتمع المصرى، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ منه فى الوقت الحالى، وإن ظلت بعضها على بدويتها وعاداتها وتقاليدها بالرغم من مستحدثات العصر.

وهناك العديد من المصطلحات التى أطلقت على البدو، منها الأبالة والشاوية، وأصحاب التايـات، العربان والأشـقياء، والبربر، وإن اتفقت جميعها علـى العربان، وصنفت طبقا لطبيعـة الارتحـال إلى أربعة أنواع وهـى: بدو الارتحال الكبير، والمحـدود، والموسمى، والمستقرون، وصنف البدو طبقا لأسلوب معيشتهم إلى أربع فئات هى البدو الرحل، وأشباه البدو، وشبة المستقرين، والمستقرون.

وقد أشرنا إلى طبيعة وادى النطرون الجغرافية والتاريخية، والمسميات التى أطلقت عليه، وأهـم القبائل التى كان منها الهنادى، والحرابـى، وأولاد على، وبنو عونة، والجوابى، والسمالو، والجميعات.

وخلصنـا إلى أن السـلطة الحاكمة طـوال ذات الفترة تعاملت مع بـدو وادى النطرون بعين اليقظة، ولتحقيق سياسـتها عينت عليهم من بينهم من أطلق عليها «ناظر العربان»، وأن تلك السـلطة اسـتخدمت الشـدة أحيانا لردعهم، وأحيانا أخرى اسـتخدمت اللين، واستطاعت توجيههم للإفادة منهم ومن مواردهم البيئية الصحراوية.

(١) نفسه: وثيقة رقم ٦٠٣، ٢ ربيع الأول ١٢٣٦هـ/ ٨ ديسمبر ١٨٢٠م.

(٢) نفسه: وثيقة ٦٢٥، ٢٥ رجب ١٢٩٣هـ/ ١٦ أغسطس ١٨٧٦م.

(٣) نفسه: وثيقة رقم ١١٩٤، ٢٣ برمهات ١٦٠٢ش/ ١٨٨٦م

وأوضحنا الدور السلبى والإيجابى، لبدو وادى النطرون حيث تمثل دورهم السلبى فى إغارتهم على القرى واعتدائهم على الأهالى، وسيطرتهم على بعض أراضى وموارد الدولة، وخيانة بعض قبائلهم لقادة الثورة العرابية ١٨٨٢م، وتأييدهم لسلطات الاحتلال البريطانى منذ احتلالها البلاد ١٨٨٢م، كما اعتدت بعض القبائل على رهبان وأديرة الوادى وأحدثت خرابا كبيرا، بحيث كانت سببا فى اندثار أغلبها.

أما الدور الإيجابى لقبائل البدو فى وادى النطرون، فتمثل فى مساندة المقاومة الشعبية لطرد الفرنسيين من مصر ١٨٠١م، وتأييدهم تولى محمد على باشا السلطة فيها (١٨٠٥م – ١٨٤٨م)، ومساندة البعض منهم للثورة العرابية عن طريق إمداد الثوار بالمعلومات عن سلطات الاحتلال البريطانى، أو إعاقة سيرهم نحو القاهرة، أو إمداد جيش أحمد عرابى بالمؤن.

وخلصنا إلى أن السلطة الحاكمة طوال القرن التاسع عشر، استطاعت أن تستفيد من الموارد الاقتصادية للبدو، وهى التى تميزت بها بيئتهم الصحراوية، مثل الخيول والجمال والخيام، والقوى البشرية وخبرتهم بالصحارى وعمل الخيام ومسالك الطرق، كما شاركوا فى اقتلاع النطرون ونقله إلى الطرنة على نهر النيل، ونقل المؤن الغذائية إلى الأديرة، وتدخلوا لإنهاء بعض المشكلات التى كانت تحدث بين بعض قبائل الوادى أنفسهم عن طريق عقد جلسات المحاكم العرفية، أو ما كان يحدث بين بعض رهبان وأديرة الوادى.

وبذلك أمكننا أن نتلمس صورة أوضاع بدو وادى النطرون وعلاقتهم بالسلطة السياسية، ولعلنا بهذا العمل نكون قد أسهمنا ولو بقدر يسير فى إيضاح الصورة وإزالة اللبس الذى اكتنف ذلك القرن.

❑❑❑

ثانيا - الوثائق

ملحق رقم (١)

بدو الجوابيص وتشاجرهم مع قرى وادى النطرون[١].

بعــد أن وقع تشــاجر ما بين ناحيــة كفر داوود وما بين عربــان الجوابيص، ووقع التشــاجر بضرب ببندقى البارود، وجرح كل من المكرم أبو أشــبيب ابن المحترم أبو رواش عبــد الله برصاصــة فى رجله اليمنى، والمحترم عياد ابن المحترم الحاج حســن شــروبد برصاصة فى ذراعه اليمنى وجرح أيضا المحترم ابن المحترم ســليمان أبو زهران برصاصة فى وركه الأيمن، حضر بمجلس الشــرع المشــار إليه كل من المحترم محمد أبو أشبيب ابن المحترم أبو رواش والمحترم عياد ابن المحترم الحاج حســن شــروبد المذكورين والمحترم داوود، المحــترم مطيريد المذكور، أمــا المحترم محمد والمحترم عياد وفقا أنفســهما وأما المحترم داوود فوكالته الشــرعية عن شــقيقه المحترم مطيريد المذكور حسبما وكله بشهادة كل مــن المكرم الحاج حســنى ابن المرحوم ومحمد الديب شــيخ الناحية المذكور والمحترم عياد المذكور وهؤلاء صولحوا فى جراحاتهم المذكورة بمبلغ قدره ماية ريال وواحدة وسبعون ريالا مقبوضين بأيديهم من المكرم الشــيخ تعيلب ابن المرحوم الشــيخ كرعيد شــيخ عربان الجوابيص المذكورة عن أن المجلس بالتفاصيل بينهم ما هو للمحترم محمد أبو أشــبيب من ذلــك مبلغا قدره ســتون ريالا وما هو للمحترم مطيريد الموكل من ذلك ســتون ريالا وما هو للمحترم عياد باقى المبلغ وقدره خمســون ريالا، وأقروا واعترفوا وأشهدوا على أنفسهم كلًا من المحترم محمد والمحترم عياد والمحترم داوود الوكيل عن شهودهم الإشهاد الشرعى وهم حجال الصحة والسلامة والطواعية والاختيار من غير إكراه عليهم فى ذلك ولا إجبار أنهم لا يستحقون ولا يستوفون قبل المكرم الشيخ تعليب المذكور ولا باقى عربان طائفة الجوابيص ســبب مراعاتهم ولا ســبب غيرها حتى مطلقا ولا استحقاقا ولا دعوا ولا طلبا ولا ضربا ولا جرحا ولا دية ولا عمدا ولا شبة عمد ولا قليلا وكثيرا ولا خفيرا ولاشيا قل ولأجل حسبما

(١) المصدر: محكمة البحيرة الشرعية، سجل ٣٧، مادة ٢، بتاريخ ٩ شوال ١٢٣١هـ/ ٢ سبتمبر ١٨١٦م، ص ١.

اشــهدوا على أنفسهم بذالك وأقروا به وصدقهم على ذلك الشيخ تعيلب المذكور وقبله منهم لنفســه ولباقى طائفة عربان الجوابيص صلحا وأقروا وأشهدوا وتصديقا وقبولا شرعيا وثبت ذلك لدى مولانا أفندى المومى. إليه أعلاه شــفاها ووجاها وحكم بموجبه الحكم الشــرعى وصدر ذلك بحضور المكرم شــيخ العرب أبو الذهب شــيخ عربان الجميعات وعلى ما جرى ترفع التحرير والرقم والتطير فى تاســع شــهر شــوال ســنة واحد وثلاثين وألف، صح أن مبلغ المصالحة المذكور سلفا قدره ثلاثماية ريال ما هو ذلك، ما هو للمحترم محمد، وما هو للمحترم مطيريد ماتيان وعشــرون ريالا؛ بالســوية بينهما وما هو للمحترم عياد باقى المبلغ وقدرة ثمانون ريالا قبضوا المبلغ المذكور بالمجلس.

❑❑❑

ملحق رقم (٢)

بدو وادى النطرون واعتداؤهم بالنهب والسلب على مهاجرى إسكندرية زمن الثورة العرابية[١].

مهاجروا إسكندرية المتفرقون فى سيرهم بطول السكة الحديد وترعة المحمودية، تبهدل بعضهم وجرح وقتل بعضهم، وتحرر لمديرية البحيرة بالتأكيد والتشديد على مشايخ عربان، هذه المديرية بحفظ الأموال والأرواح، بأن الجهد فى حسم هذه المشكلات ولذلك تتبعت بنفسى خط سير هؤلاء المهاجرين، وقد ضبطت بعض العربان بما نهبوه، وجار اللازم نحوهم، كما يفيد سعادة مدير الغربية أورى بإشارة تلغرافية، أن مهاجرى إسكندرية حاصل فيهم هيجان وفتن فى السلب والفتن بطنطا، ولأجل تسكين ذلك فحررت لوكيل الجهادية بإرسال أورطتين إلى المديرية المذكورة، وقد تنبه على سعادة المدير بتوزيع المهاجرين على البلاد والقرى وإكرام مثواهم، حيث إن قيامهم من إسكندرية كان فجأة وتركوا أموالهم وما يمتلكونه فى منازلهم، وحيث الأمر كما ذكر وشفقة ومرحمة ولى النعم تقضى، بالنظر لهؤلاء المساكين فقد تجاسرت بالعرض للمعية السنية، لصدور الأمر لكافة المديريات بالتحفظ على أرواح وأموال المهاجرين وأن يكرموا مثواهم بتوزيعهم على البلاد لحصولهم على القوت الضرورى إلى أن يقضى الله أمرًا كان مفعولا، وأملى فى ولى النعم أن يصدر الأوامر الأكيدة على المديرين بتوزيع الجزاءات، على من يصب فى مثل المواد المذكورة بحسب ما تقتضيه الأمور السنية بالنسبة للأحوال الحاضرة والأمر لمن له الأمر.

يعطى صورة ما توضح للمعية السنية، ولسعادة رئيس النظار بإسكندرية

يعتمد إعطاء هذه الأخبار لجهاتها حسب الموضح بعالية

ناظر جهادية وبحرية

(١) المصدر: محافظ الثورة العربية، تلغرافات، تلغراف للجمعية السنية، رقم ٢٦، بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٩٩هـ/ ١٥ يوليو ١٨٨٢م.

ملحق رقم (٣)

بدو الوادى ودورهم فى نقل النطرون[١].

جواب بختم الوكيل حددته بنا عما ورد منكم، قد كتب إلى رحيم تعليب لأجل حضوره لتعيينه معاون عساكر، لتسهيل مصلحة الأطرون فى جمع العربان بالجمال ولمشال النطرون من الوادى للمصلحة، قد وردت إفادة من عبد الحميد ولده مفيدها أن والده توجه للجبل لجمع العربان والجمال، ومنتظر العساكر فتحرر لحضرة مأمور العربان بتعيين خمسة عساكر وواحد ضابط ليتوجهوا لطرفكم لأجل عمل التشهيلات.

❑❑❑

(١) المصدر: مديرية البحيرة، سجل ٢٠، صادر لوكيل مصلحة الأطرون، بتاريخ ٢٠ صفر ١٢٨٢هـ/ ١٥ يوليو ١٨٦٥م ، ص ٢٥.